

الفرج بعد الشدة

[206] إنك أنت جاهل، وقد غررتني فلم تدعني أعمل برأى وليس العجب إلا ممن قبل

منك، وهو في هذا يحلف أنى لا أنزل إلا خليفة وغيطي عليه يزداد وتعجبي منه ومن حمقه ومواصلته الايمان مما يشاهده من الحال، وكان ما أقاسيه منه أشد مما أقاسيه من الجند، ثم وضعوا القوم النار في شوك وضعوه وأدنوه من الدار ونقبوا في سورها عدة نقوب، وثلموا فيه جزاء فذهبت نفسي جزعا، وعلمت بأنى بين أن أحترق وبين أن يصلوا إلى فيقتلوني فهممت بأن ألقى نفسي إليهم، وقدرت أنهم إذا رأوني استحيوا وانصرفوا وجعل الفضل بن سهل يقبل يدي ورجلي ويناشدني أن لا أفعل، وحلف أنى لا أنزل إلا خليفة وفى يده الاضطراب ينظر فيه في الوقت بعد الوقت، فلما علا الامر واستحكم اليأس قال لى يا سيدى: وا! أتاك الفرج أرى شيئا في الصحراء قد أقبل ومعه فرجنا فازددت من قوله غيظا، وأمرت غلماي بتأمل الصحراء فلم يروا شيئا. وجد القوم في الهدم والحريق، حتى هممت لما دخلنى أن أرمى الفضل إليهم فقال الغلمان يا سيدى إنا نرى شيئا في الصحراء قد أقبل يلوح فنظرت فإذا شيخ وجعل يزيد تبيبا إلى أن تبينوا رجلا على بغل يلوح ثم قرب من العسكر، فقويت له قلوبنا ورأى الجند ذلك فتوقفوا وخالطهم فإذا هو يقول البشرى، هذا رأس على بن عيسى معى في المخلاة، فلما رأوا ذلك أمسكوا عنا وانقلبوا بالدعاء لى، والسرور بالطفر والفتح فقال لى الفضل يا سيدى: ائذن لى في ادخال بعضهم، فأذنت فشرط عليهم أن لا يدخل إلا من يريد. فأجابوا إلى ذلك وسمى قوما من القواد يعدهم واحدا واحدا ففعلوا ذلك واطفأوا عزوجل تلك الثائرة ووهب لى السلامة وقلدنى الخلافة وطفرت من أموال على بن عيسى وما في عسكره بما أصلحنا به جنودنا * وذكر أيضا في " كتابه " قال: حدثنا محمد بن مخلد، عن أبيه مخلد بن أزدى المدائني الكاتب قال: كان مخلد يلقب لبدا لطول عمره فحدثني أن المأمون لما قدم العراق خطر له أن يقلد الاعمال إلى السبعة الذين قدموا معه من خراسان فطالت عطلة كتاب السواد وعماله، وكانوا يحضرون داره في كل يوم حتى ساءت أحوال أكثرهم فخرج يوما بعض مشائخ الشيعة، وكان مغفلا فتأمل مخلدا فلم ير أسن منه فجلس إليه